

الباب الأول

في رحاب الجهاد

obeikandi.com

الفصل الأول

مفهوم الجهاد..

قال العلامة الراغب الأصفهاني (ت : ٤٢٥ هـ) رحمه الله تعالى :

(.. الجُهد والجُهد : الطاقة والمشقة ، وقيل الجُهدُ بالفتح : المشقة ، ومن الجُهد : الوسع ، وقيل : الجُهد للإنسان ، وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾ [التوبة : ٧٩] وقال تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ [النور : ٥٣] أي حلفوا واجتهدوا في الحلف أن يأتوا به على أبلغ ما في وسعهم .

والاجتهاد : أخذ النفس ببذل الطاقة وتحمل المشقة ، يقال : جهدتُ رأيي واجهدته : أتعبته بالفكر ، والجهاد والمجاهدة : استفراغ الوسع في مدافعة العدو ، والجهاد ثلاث أضرب :

- مجاهدة العدو الظاهر .

- ومجاهدة الشيطان .

- ومجاهدة النفس .

وتدخل ثلاثها في قوله تعالى : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ [الحج : ٧٨] وقوله : ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٤١] وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الأنفال : ٧٢] .

وقال ﷺ : « جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم » (١) .
والمجاهدة تكون باليد واللسان ، قال ﷺ : « جاهدوا الكفار بأيديكم
وألستكم » (٢) .

وفي قواميس اللغة تعريفات كثيرة ، لكنها متقاربة ، وكلها تدور حول
ما قاله الراغب الأصفهاني (٣) .

أما في الاصطلاح ، فهناك عدة تعريفات ، منها :
عند الحنفية : هو بذل الوسع والطاقة في سبيل الله عز وجل ،
وبالنفس والمال واللسان (٤) .

وعند الشافعية : الجهاد أي القتال في سبيل الله ، مأخوذ من
المجاهدة ، وهي المقاتلة لإقامة الدين ، وهذا هو الجهاد الأصغر ، وأما
الجهاد الأكبر فهو مجاهدة النفس ، فلذلك كان ﷺ يقول إذا رجع من
الجهاد : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » (٥) .

وعند المالكية : هو قتال مسلم كافراً غير ذي عهد لإعلاء كلمة الله
تعالى أو حضوره له ، أو دخوله أرضه له (٦) .

وهناك بعض الألفاظ ذات صلة بكلمة الجهاد ، مثال ذلك :

أ - الغزو : ومعناه الطلب ، يقال : ما مغزاك من هذا الأمر ؟ أي

(١) ذكره الأصفهاني في كتاب : الذريعة (ص ٣٤) .

(٢) سنن أبي دواد ، رقمه (٢٥٠٤) ، سنن النسائي : ٧/٦ . وانظر : مفردات ألفاظ القرآن :
٢٠٨ .

(٣) للتوسع : لسان العرب ، مادة (جهد) ، تاج اللغة للجهوري : ٤٢/١ ، القاموس
المحيط : ٣٣٧/١ .

(٤) بدائع الصنائع للكاساني : ٧/٧ .

(٥) حاشية الباجوري على ابن القاسم : ٢٦٨/٢ . والحديث رواه البيهقي في الزهد
(ص ١٦٥) .

(٦) منح الجليل شرح مختصر خليل للشيخ عlish : ٧٠٧/١ .

ما مطلبك ؟ وسمي الغازي غازياً لطلبه الغزو^(١) .

ب - السير : جمع سيرة وهي فعلة بكسر الفاء من السير ، وقد غلبت في لسان الفقهاء على الطرائق المأمور بها في غزو الكفار ، وما يتعلق بها ، كغلبة لفظ (المناسك) على أمور الحج .

وقد سميت المغازي سيراً ، لأن أول أمورها السير إلى العدو ، والمراد بها سير الإمام ومعاملاته مع الغزاة ، والأنصار ، ومنع العداة والكفار^(٢) .

ج - الرباط : هو الإقامة في مكان ليس وراءه إسلام ، ويتوقع هجوم العدو منه لقصد دفعه الله تعالى .

والرباط تأهب للجهاد ، والأحاديث في فضله كثيرة منها ما في صحيح مسلم من حديث سلمان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل ، وأجرى عليه رزقه ، وأمن الفتان »^(٣) .

د - القتال : مصدر قاتل ، ومصدر الثلاثي منه قتل ، وأصل القتال : الإماتة ، وهي إزالة الروح عن الجسد ، لكن إذا اعتبر بفعل المتولي ذلك يقول : قتل ، وإذا اعتبر بفوت الحياة يقال : موت .

والقتال من المقاتلة والمحاربة بين اثنين ، والمقاتلة - بفتح التاء وكسرها - الذين يشتركون في القتال ، لأن الفعل واقع من كل واحد^(٤) .

(١) النظم المستعذب في شرح غريب المذهب : ٢٢٦/٢ .

(٢) فتح القدير : ١٨٧/٥ ، حاشية ابن عابدين : ٢١٧/٤ .

(٣) صحيح مسلم : ١٥٢٠/٣ .

(٤) لسان العرب : مادة (قتل) ، المذهب : ١٨/٢ ، فتح القدير : ٤١١/٤ .

هـ - الحراة - لغة - : من الحرب التي هي نقيض السلم ، يقال :
حاربه محاربة وحارباً ، أو من الحَرْب - بفتح الراء - وهو السلب .
- واصطلاحاً - هي البروز للناس لأخذ المال أو للقتل أو للإرهاب
على سبيل المجاهرة^(١) .

* * *

(١) المغني لابن قدامة : ٢٧٨/٨ ، مغني المحتاج : ١٨١/٤ .

الفصل الثاني

المسيرة التاريخية للحرب والجهاد..

تعود بدايات الصراعات والحروب ، والدفاع والجهاد إلى التاريخ القديم جداً ، ففي قصة أبناء آدم عليه السلام دلالة واضحة على ذلك ، حيث قتل قابيل أخاه هابيل ظلماً وعدواناً وحسداً ، قال تعالى في ذلك :

﴿... وَأَتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُقْبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ أُرِيدُ أَنْ تَبْشُرَ بِإِغْمَىٰ إِلَيْنِي وَإِنَّكَ فَتَكُونُ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٠﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣١﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يُوَيْلَيتُ أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [المائدة : ٢٧-٣١] .

ودار الزمن دورته ، وكان الإغريق والرومان واليونان والفرس و... والجميع خاضوا معارك طاحنة ، كانت أثارها مدمرة ووخيمة . . .

أما في الشرائع السماوية ، فعند اليهود تُعدُّ الحروب مقدسة ، وذلك انطلاقاً من عقيدتهم التي تدور حول محور أنهم شعب الله المختار ، وما عداهم يجب عليه الموت أو التشريد والتنكيل :

ورد في الإصحاح العشرين ما يلي : (إذا خرجت للحرب على عدوك

ورأيت خيلاً ومراكب ، وقوماً أكثر منك فلا تخف منهم لأن معك الرب إلهك ، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك ، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحدّ السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك ، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا ، وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما ، بل تحرمها بتحريم الحثيين والأموريين والكنعانيين والفزريين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك ، لكي لا تعلموكم أن تعملوا حسب جميع أرجاسهم التي عملوا لآلهتهم فتخطئوا إلى الرب إلهكم^(١) .

وبالتالي ، فهل نحن بحاجة إلى أدلة على همجية اليهود ووحشيتهم ، وأمام العالم كله مارسوا جرائم - وما زالوا يمارسون - من دير ياسين إلى قانا إلى مجزرة الحرم الإبراهيمي إلى قتل الأطفال الآمنين ، إلى تهديم البيوت فوق المسنين ، إلى... إلى...!!^(٢)

وأما الديانة المسيحية فقد رفعت لواء السلام والمحبة ، وإلى جواره لواء الحرب والكفاح !! مثال ذلك :

(طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض ، طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون) .

(قد سمعتم أنه قيل للقديماء : لا تقتل ، ومن قتل يكون مستوجب

(١) الكتاب المقدس ، سفر التثنية : ٣١٠-٣١١ .

(٢) للتوسع يراجع كتاب : الإرهاب الصهيوني ، للمؤلف : ٩٩-٦٧ .

الحكم ، وأما أنا فأقول لكم : إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم)

(سمعتم أنه قيل : تحب قريبك وتبغض عدوك ، وأما أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم)^(١) .

لكن وفي القرن الرابع الميلادي ظهر القديس (أوغسطين) بفكرة الحرب العادلة واعتمد على بعض ما ورد في الإنجيل ، مثال ذلك :

(لا تظنوا أنني جئت لألقي سلاماً على الأرض ، ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً ، فإني جئت لأجعل الإنسان على خلاف مع أبيه ، والبنت مع أمها ، والكنته مع حماتها ، وهكذا يصير أعداء الإنسان أهل بيته ، من أحب أباً أو أمّاً أكثر مني فلا يستحقني ، ومن أحب ابناً أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني ، ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني ، ومن وجد حياته يضيعها ، ومن أضاع حياته من أجلي يجدها)^(٢) .

ودار الزمن دورته ، وكان العهد الجاهلي - قبل الإسلام - واشتهر الجاهليون بالاعتداء والحروب الطاحنة ، والثأر و... ، ويشهد التاريخ بما حدث في حرب داحس والغبراء ، وحرب الفعجار وما إلى هنالك ، والسبب في ذلك كما ذكر العلامة ابن خلدون : والعدوان أكثر ما يكون بين الأمم الوحشية الساكنين بالقفر كالعرب والترك والتركماني والأكراد وأشباههم ، لأنهم جعلوا أرزاقهم في رماحهم ، ومعاشهم فيما بأيدي غيرهم ، وإنما همّهم ونصب أعينهم غلب الناس على ما في أيديهم^(٣) .

(١) العهد الجديد : ١٣-١٥ .

(٢) العهد الجديد : إنجيل متى ٣٤٠ .

(٣) مقدمة ابن خلدون : ٢٧١ .

أما الإسلام فله نظرة خاصة ، ملخصها^(١) :

الجهاد مشروع بالإجماع ، لقوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ ﴾ [البقرة : ٢١٦] إلى غير ذلك من الآيات ، ولفعله ﷺ ، وأمره به^(٢) .

أخرج مسلم : « من مات ولم يغز ، ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق »^(٣) .

وقد كان الجهاد في عهد رسول الله ﷺ قبل الهجرة غير مأذون فيه ، لأن الذي أمر به ﷺ أول الأمر هو التبليغ والإنذار ، والصبر على أذى الكفار ، والصفح والإعراض عن المشركين ، وبدأ الأمر بالدعوة سرّاً ثم جهراً^(٤) .

قال الله تعالى : ﴿ فَاصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ [الحجر : ٨٥] وقال أيضاً : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بَالِغِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥] وقال أيضاً : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر : ٩٤] .

ثم أذن الله بعد ذلك للمسلمين في القتال إذا ابتدأهم الكفار بالقتال ، وكان ذلك في السنة الثانية من الهجرة ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا ﴾ [الحج : ٣٩] .

ثم شرع الله الابتداء بالقتال على الإطلاق بقوله تعالى : ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ [التوبة : ٤١] وقوله : ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً ﴾ [التوبة : ٣٦] وتسمى هذه آية السيف .

(١) للتوسع يراجع : الموسوعة الفقهية الكويتية : ١٢٥-١٢٧ .

(٢) للتوسع يراجع : المغني : ٨/٣٤٦ ، كشاف القناع : ٣/٣٢ .

(٣) صحيح مسلم : ٣/١٥١٧ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١/٧٢٢ .

وقيل : هي قوله تعالى : ﴿ فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾

[التوبة : ٥] .

وقال رسول الله ﷺ : « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنْ مَالِهِ وَنَفْسِهِ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابِهِ عَلَى اللَّهِ »^(١) .

والفقهاء على أنه ينبغي ألا يترك الجهاد كل سنة مرة على الأقل^(٢) ، ومعنى ذلك أن يوجه الإمام كل سنة طائفة ، ويزج بنفسه معها أو يُخْرِجَ بدلَه من يثق به ، ليدعو الكفار للإسلام ، ويرغبهم فيه ، ثم يقاتلهم إذا أبوا ، لأن في تعطيله أكثر من سنة ما يطمع العدو في المسلمين ، فإن دعت الحاجة في السنة إلى أكثر من مرة وجب ، لأنه فرض على الكفاية فوجب منه ما دعت الحاجة إليه ، فإن دعت الحاجة إلى تأخيرِه لضعف المسلمين ، أو قلة ما يحتاج إليه في قتالهم من العدة ، أو المدد الذي يستعين به ، أو يكون الطريق إليهم فيها مانع ، أو ليس هنا مؤن ، أو للطمع في إسلامهم ونحو ذلك من الأعذار ، جاز تأخيرُه .

لأن النبي ﷺ صالح قريشاً عشر سنين^(٣) .

وأخر قتال غيرهم من القبائل بغير هدنة ، ولأنه إذا كان يرجى من النفع بتقديمه وجب تأخيرُه^(٤) .

فإذا لم يوجد ما يدعو إلى تأخير الجهاد فإنه يستحب الإكثار منه ،

(١) صحيح البخاري : ٢٦٢/٣ .

(٢) المهذب : ٢٢٦/٢ ، المغني : ٣٤٨/٨ .

(٣) سيرة ابن هشام : ٣١٧/٢ .

(٤) كشف القناع : ٣٦/٣ ، المهذب : ٢٢٦/٢ .

لقوله ﷺ : « والذي نفسي بيده لو ددت أن أقتل في سبيل الله ثم أحيا ، ثم أقتل ثم أحيا ، ثم أقتل » (١) .

وروي أن النبي ﷺ غزا سبعا وعشرين غزوة ، وبعث خمسا وثلاثين سرية (٢) .

* * *

(١) للتوسع في شرح الحديث يراجع : فتح الباري ١٦/٦ .

(٢) المبسوط للسرخسي : ٣/١٠ ، المذهب : ٢٢٧/٢ .

الفصل الثالث

فضائل الجهاد..

عندما يُندب الناس إلى أعمال البرّ والخير ، يختلف الناس في البذل والعطاء ، لكن المجاهدين يقدمون أغلى ما يملكون ، مصداق ذلك قول الشاعر :

يجود بالنفس إن ضنّ الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود!
لذلك كان للجهاد المرتبة العظيمة ، والفضائل التي لا تُحصى ، وهذا هو السرّ في ذكر بعض فضائل الجهاد في عدد كبير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر :

أن الله تعالى قطع على نفسه عهداً بأن يوفّي المجاهدين أحسن الجزاء ، قال عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١١١] .

وكذلك فقد تعهّد الله سبحانه لكل من جاهد في سبيله بأن يفتح أمامه أبواب الهداية ، وأن يحشره مع المحسنين تحت ظلال رحمته سبحانه ، مصداق ذلك قوله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

وهناك أولويات في التفضيل ، كما قال تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْخُسْفَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٩٥] .

وبالتالي فالقرآن الكريم يأخذ بأيدي المؤمنين ليدلهم على أرباح تجارة في الدنيا والآخرة ، وذلك في قول الله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَجَرَّةٍ تَنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ۖ تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۖ يَقِفْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَسَكَتِكُمْ طِبَّةٌ فِي جَنَّتِ عَذَابِ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۖ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف : ١٠-١٣] .

حقاً إنها تجارة لن تبور ، حيث غفران الذنوب ، ودخول الجنان التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال بشر ، ثم نصر على الأعداء وتمكين في الأرض ، وفتح قريب وهذه البشارة للمؤمنين المجاهدين ، فهل هناك تجارة مثل تجارة الجهاد في سبيل الله ؟!

أجل ! إنها الحياة البرزخية الكريمة ، والتي أعدها الله للمجاهدين في سبيله ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۖ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۖ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٦٩-١٧١] .

وأما الأحاديث النبوية التي أشارت إلى فضائل الجهاد فهي كثيرة جداً ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

. . عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« جاهدوا في سبيل الله ، فإن الجهاد في سبيل الله بابٌ من أبواب الجنة ، يُنْجِي الله به من الهمِّ والغمِّ »^(١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما سُئِلَ رسول الله ﷺ : أي الأعمال أفضل؟ قال : « الإيمان بالله ورسوله » قيل : ثم ماذا؟ قال : « الجهاد في سبيل الله » قيل : ثم ماذا؟ قال : « حجٌّ مبرور »^(٢) .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم نهاره ، والقائم ليله ، حتى يرجع »^(٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من مات ولم يغزُ ، ولم يحدث نفسه بالغزو ، مات على شعبة من النفاق »^(٤) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ مرَّ بشعبٍ فيه عين ماءٍ ، فأعجبه طيبه وحسنه ، فقال : لو اعتزلتُ الناس ، وأقمتُ هنا ، ثم قال : لا أفعل حتى أستأمر رسول الله ﷺ ، فذكر ذلك له ، فقال : « لا تفعل ، فإنَّ مقام أحدكم في سبيل الله ، أفضل من صلاته في أهله ستين عاماً ، ألا تحبّون أن يغفر الله لكم ، ويدخلكم الجنة؟! اغزوا في سبيل الله ، من قاتل في سبيل الله فُؤاق ناقةٍ ، وجبت له الجنة »^(٥) .

(١) المسند للإمام أحمد : ٣١٤/٥ .

(٢) صحيح مسلم : ٨٨/١ .

(٣) المسند : ٢٧٢/٤ .

(٤) صحيح مسلم : ١٥١٧/٣ .

(٥) المستدرك للحاكم : ٦٨/٢ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يجتمع غبارٌ في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبدٍ أبداً ، ولا يجتمع شحٌ وإيمان في قلب عبدٍ أبداً »^(١) .

* * *

(١) المستدرک : ٢/٧٢ .

الفصل الرابع

لماذا فرض الله الجهاد؟..

قبل مسألة الجهاد والحرب ، تعلن الشريعة الإسلامية قضية الدعوة إلى الله تعالى ، وإلا فما معنى الجهاد إذا لم تتم مسألة دعوة الآخرين؟ لذلك لا بدّ من إيصال الدعوة إلى الآخرين ، وذلك من خلال التزام التعايش معهم على أساس أن لكل جماعة خصوصيات معينة ، بينما يقف الجميع على أرضية مشتركة حدّدها البيان الإلهي ، وذلك بقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وعמוד الأمر كله هو توحيد الله ، وهذا هو الأمر المشترك بين جميع الديانات ؛ لذلك جاء الإعلان الواضح : ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَّاهُمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

ثم يأتي الخطّ الواضح في التعامل مع غير المسلمين ، قال تعالى : ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة : ٨] .

لذلك رفعت الشريعة لواء حرية العقيدة ، قال تعالى : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

والناس أمام ذلك أحرار ، فمن شاء الهداية فله ذلك ، ومن أصرَّ على الضلال فلا يُجبر على العودة إلى طريق الهداية ؛ لذلك جاء الخطاب الإلهي للرسول ﷺ : ﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٩٩] .

وما على المسلمين إلا اتباع طرق الدعوة ، قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُم بِالْأَقْنَى هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [الإسراء : ١٢٥] .

ولا بد للمسلمين من تقديم الحجج والبراهين ، وذلك بهدف إقناع الآخرين بصحة ما يدعو إليه الدين الحنيف .

وقبل ذلك وبعده ، فعلى كل مسلم أن يُقنع نفسه أنه لا يملك الهداية لأحد ، وهذا ما ورد صريحاً في كتاب الله تعالى : ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴾ [الغاشية : ٢٢] ﴿ إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر : ٢٣] ﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ [الشورى : ٤٨] .

وبهذا المنطق الدعوي السلمي انتشر الإسلام ، أما ما يشيعه بعض المستشرقين الحاقدين ، من أن الإسلام انتشر بالسيف ، وأن الرسول ﷺ كان يتلذذ برؤية القتل والدماء و... ! فهذا محض افتراء ، وخير دليل على تكذيبه ما قاله المستشرقون المنصفون .

مثال ذلك قول (جوستاف لوبون) :

... وسيرى القارىء حين نبحث في فتوح العرب وأسباب انتصاراتهم أن القوة لم تكن عاملاً في انتشار القرآن ، فقد ترك العرب الفاتحون المغلوبين أحراراً في أديانهم ، فإذا حدث أن اعتنق بعض الأقوام النصرانية الإسلام واتخذوا العربية لغة لهم ، فذلك لما رأوه من عدل العرب الغالبين مما لم يروا مثله من سادتهم السابقين ، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم يعرفوها من قبل... .

والتاريخ أثبت أن الأديان لا تُفرض بالقوة ، فلما قهر النصارى عرب الأندلس فضّل هؤلاء القتل والطرده عن آخرهم على ترك الإسلام . ولم ينتشر الإسلام بالسيف ، بل انتشر بالدعوة وحدها ، وبالدعوة وحدها اعتنقت الإسلام الشعوب التي قهرت العرب مؤخراً كالترك والمغول (١) .

أجل!

إن من أسس الدعوة عدم الإكراه ، إنما يجب فقط السير في الدعوة على منهج واضح ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

لكن قد يُقال : إن آية ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ منسوخة بآية السيف !

وفي الردّ على ذلك الزعم يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله : جمهور السلف على أن الآية ليست منسوخة ولا مخصوصة ، وإنما النص عام فلا نكره أحداً على الدين ، والقتال لمن حاربنا ، فإن أسلم عصم ماله ودمه ، وإذا لم يكن من أهل القتال لا نقتله ، ولا يقدر أحد قط أن ينقل أن رسول الله ﷺ أكره أحداً على الإسلام ، لا ممتنعاً ولا مقدوراً عليه ، ولا فائدة في إسلام مثل هذا ، لكن من أسلم قبل منه ظاهر الإسلام (٢) .

إذاً : فما هي أسباب القتال ؟ وما هي أهدافه وغاياته ؟!

الأصل في الأشياء عدم إكراه أحدٍ على التزام دين ما ، أو ترك دين آخر ، إنما الذي يحصل على أرض الواقع ، أن فئة ما تقف في وجه إيصال الدعوة للآخرين ، فتضطهدهم . . وتعذبهم ، وتتسلط على أتباع

(١) حضارة العرب : ١٦٢-١٦٣ .

(٢) السياسة الشرعية : ١٢٣ .

الدعوة . . . لتمنعهم من أي ممارسات لها علاقة بذلك . . .

عندئذ يأذن الله للمؤمنين بالقتال ، أي لسان الحال يقول لهؤلاء المستكبرين : ابتعدوا عن درب الهداية ، ولا تقفوا في وجه الدعوة ، ودعونا نصل إلى الآخرين لندعوهم . . . فإن وافقوا كان الحال كما قال تعالى : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون : ٦] .

وإن عاندوا وأصرّوا كان الحال كما قال تعالى : ﴿ وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال : ٣٩] .

لذلك عدّت الشريعة الإسلامية الجهاد أمراً اضطرارياً مؤقتاً ، يزول بزوال السبب ، قال تعالى في بيان سبب الجهاد : ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الصُّلُوحُ وَصَلَوَاتُ وَمَسْجِدُ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ ﴾ [الحج : ٣٩-٤١] .

ويعدّ العلماء هذه الآية هي أدل آية تأذن بالقتال ، ثم قال تعالى في الحديث عن أسباب القتال : ﴿ وَقَتِّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَتِّلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (١٩) وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ يَقْتُلُوكُمْ وَخَرِّجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَتِّلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩) فَإِنْ أَنَّهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩١) وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنَّهُمْ فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣) الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَانْقَرُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٠-١٩٤] .

إنه كلام عربي واضح : القتال ضد الذي يحمل لواء القتال ،

ولا يجوز الاعتداء إلا على المعتدين ، وسبب القتال درء الفتنة . . . !!

أما الذين لا يقاتلوننا ولا . . . ، فعلينا أن نتعامل معهم تحت ظلال قوله تعالى وهو يحدّد العلاقة بين المسلمين وغيرهم : ﴿ أَلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مَسْخِذَى أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [المائدة : ٥] .

وعلىنا أن نضع نصب أعيننا أن القتال ليس مقصوداً لذاته ، وأن الحرب و . . . ليست هي الوسيلة الأولى ، إنما القتال هو آخر وسيلة يجب أن يلجأ إليها ، وهو ضرورة لدفع العدوان ودرء الفتنة ، وهذا ما ورد في تقارير الفقهاء ، مثال ذلك ما قاله الشافعية : . . . وجوب الجهاد وجوب الوسائل لا المقاصد ، إذ المقصود بالقتال إنما هو الهداية وما سواها من الشهادة ، وأما قتل الكفار فليس بمقصود حتى لو أمكن الهداية بإقامة الدليل بغير جهاد كان أولى من الجهاد^(١) .

أما ما يُشيعه الحاقدون والمستشرقون حول هدف الجهاد ، فهذا ينطبق عليه المثل العربي : رمّني بدائها وانسلّت !!

* * *

(١) مغني المحتاج : ٤ / ٢١١ .

الفصل الخامس

شروط وجوب الجهاد..

حدّد الفقهاء عدة شروط لوجوب الجهاد ، أهمها^(١) :

أ - الإسلام : اتفق الفقهاء على أن من شروط وجوب الجهاد الإسلام ؛ لأنه من شروط وجوب سائر الفروع ، ولأن الكافر غير مأمون في الجهاد ، ولا يأذن له الإمام بالخروج مع جيش المسلمين ، لما روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ خرج قِبَلَ بدر فتبعه رجل من المشركين ، فقال له : « تؤمن بالله ورسوله؟ » قال : لا ، قال : « فارجع فلن أستعين بمشرك »^(٢) .

ولأن ما يُخاف من الضرر بحضوره أكثر مما يُرجى من المنفعة ، وهو لا يؤمن مكره وغائلته ، لخبث طويته ، والحرب تقتضي المناصحة ، والكافر ليس من أهلها .

ب - العقل : المجنون غير مكلف فلا يجب عليه الجهاد ، ولا يتأتى

منه .

ج - البلوغ : لا يجب الجهاد على الصبي غير البالغ ضعيف البنية وهو غير مكلف .

(١) للتوسع يراجع : الموسوعة الفقهية الكويتية : ١٦ / ١٣٧-١٤٢ .

(٢) صحيح مسلم : ٣ / ١٤٥٠ .

د - الذكورة : يشترط الذكورة لوجوب الجهاد ، لما روت عائشة قالت : يا رسول الله ، هل على النساء جهاد؟

فقال : « جهاد لا قتال فيه : الحج والعمرة » (١) .

وعلى ذلك فلا يجب عليهن الجهاد ما لم يتعين في الأحوال الثلاثة المتقدمة .

وصرّح بعض الفقهاء باستثناءات معينة ، واستدلوا على ذلك بما ورد في كتب الأحاديث وكتب السيرة ، مثال ذلك ما روته الربيع بنت معوذ حيث قالت : كنا نغزو مع رسول الله ﷺ فنسقي القوم ونخدمهم الماء ، ونردّ الجرحى والقتلى إلى المدينة (٢) .

هـ - القدرة على مؤنة الجهاد : فلا يجب الجهاد على الفقير الذي لا يجد ما ينفق في طريقه فاضلاً عن نفقة عياله ، ونحو ذلك ، دليل ذلك قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١١) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ [التوبة : ٩١-٩٣] .

و - السلامة من الضرر : فلا يجب الجهاد على العاجز غير المستطيع ؛ لأن العجز ينفي الوجوب ، والمستطيع هو الصحيح في بدنه من المرض .

(١) سنن ابن ماجه : ٩٦٨/٢ .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري : ٨١/٦ .

ومن ثم فلا يخرج المريض الدنف الذي يمنعه مرضه من الركوب أو القتال ، بأن تحصل له مشقة لا تحتمل عادة .

ولا يسقط وجوب الجهاد بالمرض إن كان يسيراً لا يمنعه ، كوجع ضرس ، وصداع خفيف ، ونحوهما ، لأنه لا يتعذر معهما الجهاد ، وإن قدر على الخروج دون القتال فينبغي أن يخرج لتكثير السواد إرهاباً^(١) .

ولا يخرج الأعمى ، ولا الأعرج ، ولا المقعد ، ولا الأقطع ؛ لأن هذه الأعذار تمنعهم من الجهاد ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ ﴾ [الفتح : ١٧] .

* * *

(١) فتح القدير : ١٩٣/٥ ، المغني : ٣٤٨/٨ ، حاشية ابن عابدين : ٢٢١/٣ .

الفصل السادس

آثار إهمال فريضة الجهاد..

هدّد البيان الإلهي كل المهملين لفريضة الجهاد بالعواقب الوخيمة ،
في الدنيا والآخرة ، وهذا ما نراه بشكل عملي ملموس :

إنه العذاب الأليم في الدنيا ، وبالتالي استبدال القوم بقوم آخرين
يدافعون عن الحق ، ويجاهدون في الله حق الجهاد ، قال تعالى :

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْذَنُكُمْ
إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْكُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[التوبة : ٣٨-٣٩] .

وبالتالي فعذاب الآخرة أشد نكالا وأسوأ مآلا ، قال تعالى في
الحكاية :

﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلَفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرْبِ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾
فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ
مِنْهُمْ فَاسْتَدْثَوْكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ
بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخُلَفَاءِ ﴿٨٣﴾ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى

قَبْرِهِمْ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَدْسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تَعْبَجْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ
 إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا أَنْزَلَتْ
 سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ
 مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا
 يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ
 وَأَوْلِيَّكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأَوْلِيَّكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾

[التوبة : ٨١-٨٨] .

فأي تبريع وتنديد وتهديد يماثل التهديد الذي جاءت به الآيات القرآنية
 التي تتحدث عن تاركي القتال والجهاد؟!

إن البيان الإلهي يوصي النبي ﷺ ألا يصحب معه الذين تخلفوا عن
 الجهاد في سبيل الله ، وحتى لو طلبوا منه الإذن ، وذلك لأنهم فضلوا
 القعود على الجهاد .

وبالتالي إذا مات واحد منهم فالوصية الإلهية للرسول ﷺ ألا يصلي
 عليه ولا يستغفر له ، والسبب في ذلك أنه من المتخلفين عن الجهاد ،
 الذين كفروا بالله ورسوله ، وماتوا وهم فاسقون!!

كذلك فكل ما لديهم من أموال ليست إلا من باب الفتنة
 والاستدراج .

فالله قطع على نفسه عهداً أنه سيزهق أنفسهم بها ويعذبهم عذاباً
 شديداً ، وذلك لأنهم استحقوا عقاباً من نوع خاص ، وهو الطبع على
 قلوبهم حتى لا يفقهوا شيئاً!!

وفي قصة الثلاثة الذي تخلفوا في غزوة تبوك خير دليل على نتائج ترك
 الجهاد وما إلى هنالك :

كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية رضي الله
عنهم... (١).

* * *

(١) للتوسع في تلك الأحداث وما قام به المنافقون أيضاً يراجع :
فتح الباري : ١١١/٨ ، تاريخ الطبري : ١٠١/٣ ، عيون الأثر : ٢١٦/٢ ،
طبقات ابن سعد : ١٦٧/٢ ، دلائل البيهقي : ٢٣٥/٥ ، سيرة ابن هشام :
١٧٧/٤ ، شرح صحيح مسلم للنووي : ١٠٠/١٧ ، مجمع الزوائد : ٢٥٧/١ ،
البداية والنهاية لابن كثير : ٢١٣/٤ وغيرهم .